الإسلام وضع آداباً حث فيها على إنهاء قضايا الخلاف

علماء ودعاة: التسامح والحوار السلوك الأمثل لوأد الخلافات بين أفراد المجتمع

■ التسامح وفق المنظور الإسلامي فضيلة أخلاقية وضرورة مجتمعية وسبيل لضبط الاختلافات وإدارتها وتتجلى هذه الحقيقة التي تحتضنها كل قيم وتشريعات الإسلام..

ومع وجود مفارقة صارخة على هذا الصعيد بين قيم الإسلام ومثله وواقع المسلمين العملي، بالكثير من المظاهر والحقائق المضادة لمفهوم التسامح يدفعنا إلى الإصرار على أهمية اكتشاف رؤية الإسلام لمفهوم التسامح، من داخل قيمه ومن الطبيعة التشريعية والقانونية التي تمثلها قيم الإسلام ونظمه الأساسية..

فقد قال بعض العلماء والدعاة عن أسباب الأزمات والمحن التي ألقت بضلالها على البلدان العربية والإسلامية إلى ابتعاد مجتمعات تلك البلدان عن منهج الإسلام وافتقادهم لثقافة التسامح والحوار كفريضتين غائبتين في السلوك والقيم، وأفاد أولئك الدعاة أن تلك المحن والبلايا التي نزلت بالمجتمعات وما خلفته من آثار سلبية على الأوطان والشعوب كان يمكن التقليل من آثارها وتجاوز الحد الممكن منها باستنهاض ثقافة التسامح والحوار ، موضحين أن الغلظة والشدة والعنف والتفتت في طبيعة العلاقة القائمة بين أبناء المجتمع بعضهم البعض ، هي من الأعمال المنافية لمقتضيات العقيدة الإسلامية.

تحقيق/ نورالدين القعاري

وأكدوا على أن التسامح التزام وتجسيد لما جاء به الإسلام.. ودعوا كافة أبناء المجتمع إلى استغلال الاتفاقية التي تدعو إلى نشر قيم التسامح والحوار مع بعضهم البعض وأن يكون ذلك سلوك ومنهج حياة لكل فرد من أفراد المجتمع.

الكلمة الطيبة

ويؤكد ثابت الجناني، إمام جامع أن التسامح في الإسلام يبدأ من الكلمة الطيبة وهي الكلمة الأولى في إطلاق روح التسامح حيث يقول: يعتبر الإسلام دين التسامح لأنه يصل الحق إلى القلوب ، ليستقر فيها ويحرك الإنسان باتجاه الفضيلة، فإن من الضروري أن تكون الكلمة الوسيلة الأساس في تحقيق هذا الهدف، بسبب ما فيها من رؤية ولين وقدرة على الإقناع، وبسبب ما تحققه من ضمانة الثبات والتمكن لأفكارها في القلوب والسلوك.. وهذا السياق هو الذي تؤكده الآيات الكريمة بوصفه الميزة التي اختصت بها الدعوة الإسلامية، التي أرادت السمو بالإنسان إلى ملكوت الله تعالى والأنس بجواره.

والتسامح هو الطريق الأحسن في مقام الجدل والصراع الفكري، هي دعوة قرآنية تخاطب كل مجال من مجالات الصراع في الحياة وتتصل بكل علاقة من علاقات الإنسان بأخيه الإنسان في مجالات الصرع ..إنها دعوة الله إلى الإنسان في قوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم).. (سورة فصلت، الآية)..٣٤ وقوله (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا)..

هذه الدعوة الصافية التي توجي للإنسان في كل زمان ومكان، أن مهمته في الحياة هي أن يثير في الإنسانية عوامل الخير ويلتقي بها في عملية استثارة واستثمار، بدلا من عوامل الشر التي تهدم ولا تبني وتضر ولا تنفع وتدفعه في الوقت نفسه إلى أن يجعل اختيار الأحسن في كل شيء وفي كل جانب من حياته شعاره الذي يرفعه في كل مكان وزمان..

وإن القوة مهما كانت درجتها لن تنسجم مع طبيعة الرسالة الإسلامية، مادامت القوة تعني محاصرة العقل وفرض الفكرة عليه تحت تأثير الألم أو الخوف. لذلك فإن الباري عز وجل يحذر رسوله أن يمارس التبليغ بروح السيطرة والاستعلاء، (فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر)..(سورة الغاشية، الآية)..٢٢.

الابتعاد عن الأحقاد

يوافقه الشيخ جبري ابراهيم الداعية المعروف بقوله عن التسامح بين المسلمين: إن الأحقاد والاحتقانات بين المسلمين بعضهم البعض ناتج عن غياب ثقافة الحوار والتسامح، حيث يؤكد أن التسامح مفتاح الصفاء النفسي والروحي والطمأنينة وما ساد التسامح مجتمعا إلا حل فيه الخير والوئام والتراحم والتواد والألفة بين أعضائه وطبيعة المسلم متسامح سمح في جميع أحواله كما علمنا رسولنا الكريم عليه واله أفضل الصلاة وأتم التسليم (فهو سمح إذا باع وسمح إذا اشترى).

ولعل القاعدة الأساسية التي تقوم عليها حياة الناس هي قاعدة التوازن بين الحقوق والواجبات وأي اختلال في ذلك التوازن لا يمكن أن يعالج إلا بالتسامح الذي يعني ببساطة شديدة الصفح والعفو والإحسان وبذلك يمثل التسامح نظرة إنسانية عظيمة لا يمتلكها إلا الإسلام ، غير مقتصرة تلك النظرة على المسلمين فقط وإنما شملت أديانا مغايرة لدينهم ويرفضون إكراه أحد على ترك ملته ويرضون أن يتألف المجتمع بصفة عامة.

ويقوم التسامح على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وقد ألف الإسلام على ذلك التسامح الذي ينبغي أن يتحول إلى سلوك عام ودائم بين المسلمين في البيت والمدرسة وفي الشارع وفي الوظيفة وفي مختلف مناحي الحياة ولن يتأتى ذلك إلا بالتربية وأن نغرس التسامح في نفوس أطفالنا منذ الصغر وأن نكون لهم المثل والقدوة في ذلك التسامح والتراحم.

مسؤولية الجميع

أما الأستاذ محمد عبدالغني مصطفى من إدارة التوجيه والإرشاد، فيرى أن الدين الإسلامي بمضمونه وما حمله من قيم التسامح والمحبة بشكل يتوائم مع الفطرة الإنسانية وتتقبله النفس البشرية من غير تكلف أو تعصب فيما شجر بين المسلمين، ويرى بأن على الجهات المعنية القيام بدور نشر هذه الفضيلة حيث يقول: إن المؤسسات والمعاهد والشخصيات الدينية في المجتمع، تتحمل مسؤولية كبرى على المبدأ العظيم مبدأ التسامح. لذلك فإن هذه الجهات معنية اليوم بضرورة إشاعة وتعميق متطلبات التسامح في واقعنا الاجتماعي والثقافي والسياسي..

مضيفاً: والمطلوب من هذه المؤسسات والجهات، ليس تبرير وتسويغ أشكال وممارسات الكراهية في المجتمع، بل محاربتها ورفع الغطاء الشرعي عنها، والعمل من مختلف المواقع وعبر مختلف الوسائل لتعميق قيم الحوار والتسامح وصيانة حقوق الإنسان في المجتمع..

شرط التسامح

أما الشيخ محمد حيدرة إمام جامع الشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامي الأول يؤكد على وجوب الحوار وعلى احترام المتحاور وعدم البطش به والإدعاء عليه لتسفيهه وإرهابه، فالدين الإسلامي دين العقل ولم يكن أبدا دين للمسيّرين بل للمخيّرين الأحرار.

والمسلم مخير وليس مسيرا وعلى هذا الأساس يكون حساب الله عادل، وقد قال تعالى في كتابه العزيز (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل) ١٢٥.

ولكي يكون حوارنا مثمراً علينا أن نقدم المصلحة العامة على مصالحنا لكي ينجح الحوار الوطني ولكي نستفيد ونكون قدوة أمام العالم في التفاهم والاتفاق على حلول نخرج بها.

ويرى بسام علي من دائرة التوجيه و الإرشاد بأن التسامح في حقيقته سلوك يعكس المتعامل في محيطه الاجتماعي لأنه إلتزام بالقيم، بل يعتبر من مقتضيات ومتطلبات الالتزام بالمبادئ، فالغلظة والشدة والعنف في العلاقات الاجتماعية والإنسانية، هي المناقضة للقيم، وهي المضادة لطبيعة متطلبات الالتزام وهي دليل ضعف وخواء..

وعليه فإن التسامح الذي يقود التعايش والاستقرار الاجتماعي وتطوير أواصر وأسباب التعاون بين مختلف أبناء وشرائح المجتمع، هو من صميم القيم الإسلامية النبيلة، وكل إنسان خالف ذلك، ومارس الغلظة والشدة في علاقاته الإنسانية والاجتماعية لدواعي مختلفة، هو الذي يحتاج إلى مبررات ايدلوجية واجتماعية.. فالأصل في العلاقات الاجتماعية والإنسانية، أن تكون علاقات قائمة على المحبة والمودة والتآلف، حتى ولو تباينت الأفكار والمواقف، بل إن هذا التباين هو الذي يؤكد ضرورة الالتزام بهذه القيم والمبادئ..

فوحدتنا الاجتماعية والوطنية اليوم، بحاجة إلى غرس قيم ومتطلبات التسامح في فضائنا الاجتماعي والثقافي والسياسي.. كما ان من مقتضيات مواجهة التحديات الكبرى التي تواجهنا إشاعة قيم الحوار والتسامح والمحبة والألفة بين أبناء المجتمع والوطن الواحد..

فالله جل جلاله لا يريد المشقة والعناء لعباده وقد جاءت السنة النبوية مؤكدة على ذلك بكثير من الأحاديث التي تحمل معاني اليسر في أمور الدين والدنيا ومعالجة المشكلات بالعقل والحوار والتسامح، لأن ذلك من أهم ما تتميز به الرسالة الإسلامية وإذا كان التسامح مشتقاً من السماحة وهي البساطة والسهولة واليسر، ولا يعني ذلك أن التسامح هو التساهل وإنما المؤاخاة والتكافل والتراحم خصوصا في هذا الشهر الكريم وعدم التشدد والتطرف والعنف وإنما أخذ الأمور برفق ويسر ولين ، مختتماً حديثه: نجد أن التبسط في التعامل لكافة شؤون الحياة خلق سلوك حث عليه الإسلام.

التسامح سلوك

وعلى هذا الأساس يكون حساب الله عادل، وقد قال تعالى في كتابه العزيز (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل) ١٢٥.

ولكي يكون حوارنا مثمراً علينا أن نقدم المصلحة العامة على مصالحنا لكي ينجح الحوار الوطني ولكي نستفيد ونكون قدوة أمام العالم في التفاهم والاتفاق على حلول نخرج بها.

صنعاء تودع إمام الاعتدال ووارث علم «الجلال» و«الأمير».. القاضي/ محمد بن أحمد الجرافي

محمد بن محمد بن عبدالله العرشي

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا)الأحزاب٢٣

صنعاء تفقد الأمن والاستقرار وتصاب بالرعب والفزع لكارثتين حلتا بها: أولها رحيل القاضي العلامة المجتهد/ محمد بن أحمد الجرافي – مفتي الجمهورية، وثانيها الأزمة التي تعيش فيها، وأصدق وصف لحالة الحزن والرعب التي شهدتها صنعاء ما قاله الشاعر الكبير الأستاذ/ حسن بن عبدالله الشرفي من قصيدة رثى بها المرحوم القاضي/ محمد بن أحمد الجرافي، جاء فيها (دمعة صدق):

الجرافي محمد غاب عنها
يوم راحت تلفها الأخطارُ
فهي في ظلمتين حزنٌ ورعبٌ
كل شيء بهوله ينهارُ
ما الذي أشعل الفتيل سوانا
نحنُ نحن الخراب نحن الدمارُ
السلاح المجنون في كل حي
والريال البغيض والدولارُ

ولا أجد ترجمة موجزة وصادقة تعبر عن الحقيقة للفقيد إلا شهادة شيخ الإسلام القاضي/ محمد بن إسماعيل العمراني التي وردت في كتاب (موكب المعاني بترجمة العلامة الجرافي) تأليف الأستاذ/ عبدالحميد بن صالح آل أعوج سمر، الذي صدر في صنعاء عام٢٠٠٩ م والذي نشرته مكتبة الجيل الجديد، قال القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني ما لفظه:

(القاضي العلامة الكبير محمد بن أحمد بن أحمد الجرافي مفتي عام الجمهورية اليمنية، علامة بن علامة بن علامة، ورث العلم عن أبيه عن جده. حفظ القرآن عن ظهر قلب، ثم قرأ جميع علوم الاجتهاد بجد واجتهاد ومثابرة إلى أن بلغ الدرجة العليا في العلوم الشرعية واللينية والعربية. تفرد بمعرفة مؤلفات المحققين من العلماء، وعلى رأسهم الزمخشري والجلال والأمير وغيرهم. فهو الفريد في عصره بمعرفة هذه المؤلفات الزاخرة بالعلوم الشرعية واللينية والعربية، ولا يساويه أحد من علماء اليمن. تولى عدة مناصب هو أعلى منها وهي دون قدره، فكل وظيفة عمل فيها هي دون علمه وذكائه وفضله ونشاطه وتحقيقه واتساع دائرة معارفه، لا فرق بين وظيفة ووظيفة، ولا فرق بين كونها قضائية أو إدارية، تشرفت به الوظائف ولم يتشرف بها، فهو شريف نفسه. مع تواضع وورع وتقوى وإنكار للذات وحب للناس ولنفعة الناس منذ شبابه إلى كهولته (إلى شيخوخته).

ويرحيله شعرت شخصيا أنني فقدت الأمان والاستقرار، وهو شعور الكثير من سكان صنعاء، الذين شعروا بنفس الإحساس ولا سيما الذين هم من جيلي، والذين يعرفون الفقيد حق المعرفة وما يمثله بالنسبة للقضاء والإدارة والسياسة، والذين يعرفون تاريخ بيت الجرافي وعلمائهم. وعند موارة جثمانه الطاهر الثرى، وجدتني لا شعوريا استشهد بأبيات للشاعر اليمني الكبير/ محمد بن حمير الصنعاني الهمداني المتوفى سنة٦٥١ هـ والمذكورة في ديوانه الذي حققه المرحوم القاضي/محمد بن علي الأكوع والذي نشرته دار العودة في بيروت عام ١٩٨٥م عندما رثى الفقيه الإمام/ محمد بن الحسين البجلي المتوفى٦٢١ هـ:

كنت الجمال لكل دهر باطل
فاليوم عطل كل دهر خالي
من للعظائم إن فقدت بزيلها
عن حالها ويفك كل عقال

من صاحب الوجه الوسيم
وصاحبُ الجاه الجسيم وَكَعبةُ النَّزال
بعد الثريا صرتَ في جفر الثرى
والدهر يُرْخِص كل شيء غالي
بالله يا قبر «الفقيه محمد»
هل انت عن علم برد سؤالي
بالله ياقبر «الفقيه محمد»
ماذا صنعت بوجهه المتلألي
لو أن تُربك بالترائب يُشترى
لو كان لي أمري دفنتُك في الحشا
وجَعلتُ صفَّ اللبّن من أوصالي
عفت الديار فلا ديارٌ وغاب منْ
قد كان مالا للقليل المال
فهو الذي قد كان من اخلاقه
بَذْلُ النَّدى وهداية الضلال

وقد احترت عندما قررت أن أسهم بجهدي المتواضع بالكتابة عن الفقيد الراحل، وظللت متردداً من أين أبدأ ووجدت أن الأستاذ/ عبدالحميد آل أعوج سمر، قد كفاني مؤنة عن الكتابة عن الفقيد القاضي/ محمد الجرافي وآل الجرافي فقررت أن أكتب عن علاقتي الشخصية بالمرحوم وآل الجرافي.

بداية علاقتي الشخصية باسرة آل الجرافي عام١٩٦٦ م

بعد ما قامت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر، وتعين المرحوم عمي القاضي/عبدالوهاب بن عبدالله العرشي في ديوان عام وزارة الخارجية، كان زميله القاضي السفير/علي بن أحمد الجرافي أطال الله عمره (الشقيق الاصغر للقاضي المرحوم/محمد)،والأستاذ السفير القدير/يحيى بن عبدالقادر أبو طالب.

وقد ظلت علاقة القاضي علي الجرافي بعمي عبدالوهاب علاقة أخوة ومودة حتى توفي المرحوم القاضي عبدالوهاب العرشي في قطر عام١٣٧٩ هـ الموافق١٩٧٧ م عندما كان سفيراً لليمن هناك، وهناك قصة عجيبة رأيت أن أذكرها للدلالة على صدق المودة والمحبة بين أسرة آل العرشي وآل الجرافي، في بداية الثمانينات من القرن العشرين، كنت في زيارة رسمية لبريطانيا بناءً على دعوة الحكومة البريطانية بعد التوقيع على تجديد العقد لشركة البرق واللاسلكي البريطانية المحددة في اليمن، وعندما نزلت الفندق المخصص لي إذا تليفون الغرفة التي أنا فيها يرن من عاملة الاستقبال وتقول أن القاضي/ علي الجرافي جاء لزيارتك وهو منتظر لك في بهو الاستقبال في الفندق، وإلى هنا فإن الخبر عادي، فلبست ملابسي بسرعة وهرعت لاستقباله وعانقني بمحبة ومودة وعيناه مشرغة بالدموع، وإذا هو يقول: يا محمد أنت تدري من قال لي أنك هنا في لندن؟ فاجبت بالنفي. قال لي: عمك عبدالوهاب. فاقشعر جسمي واجبت بسرعة: ماذا تقولون يا قاضي علي، عمي المرحوم القاضي عبدالوهاب؟ قال: نعم. قلت: كيف؟ قال: كنت ليلة وصولك إلى لندن أي ليلة أمس نائماً فرأيت في منامي عمك عبدالوهاب يقول لي: قُمْ يا علي البس لتقوم باستقبال محمد بن محمد، وفي الصباح ذهبت إلى السفارة اليمنية وأنا ما بين مصدق ومكذب وسألت هل محمد بن محمد العرشي – وكيل وزارة المواصلات – هنا في لندن؟ قالوا لي: نعم وصل بالأمس بناءً على دعوة من وزارة الخارجية البريطانية، وطلبت من المختصين عنوان الفندق، وجئت لزيارتك. وبعد عودتي إلى صنعاء حكيت لكثير من الأصدقاء رؤيا القاضي علي الجرافي ومنهم المرحوم الفقيد القاضي محمد الجرافي وأخي الأستاذ علي صالح الجرة والقاضي علي أبو الرجال، وإذا القاضي علي أبو الرجال أطال الله عمره يقول لي: «لقد قمت بتسجيل المقابلة الإذاعية لك يا محمد من راديو «بي بي سي» البريطانية، وسجلتها» فاعجبت من توارد الخواطر ولقاء الأرواح عندما تكون العلاقة بين الأحباب علاقة مودة ومحبة وليست مبنية على علاقة منفعة بحتة.

علاقتي بالفقيد الراحل بعد عودتي من الدراسة من جمهورية مصر العربية

وعندما عدت من القاهرة في عام١٩٧١ م بعد إنهاء دراستي في جامعة الأزهر كنت أحضر مقيل ال الجرافي في منزلهم العامر الذي كان يحضره العلامة القاضي أحمد بن أحمد الجرافي والفقيد الراحل القاضي محمد، والمرحوم السفير العالم المجتهد السياسي الوزير القاضي/ إسماعيل بن أحمد الجرافي المتوفى سنة٢٠٠٧م، أطال الله بقاءه، وذاكرة اليمن أبو التوثيق فيها القاضي الأستاذ/ علي بن أحمد أبو الرجال – رئيس المركز الوطني للوثائق، والعديد من القضاة والعلماء والأدباء، الذين كانوا يتناولون الكثير من القضايا العلمية والأدبية، وكان هذا المجلس عامراً بالعديد من القضاة والعلماء والأدباء، ويتناولون الكثير من القضايا الفكرية والفقهية والتاريخية، وكان القاضي العلامة المرحوم أحمد بن أحمد الجرافي يحدثني عن جدنا القاضي المؤرخ حسين بن أحمد العرشي المولود عام١٢٧٦ هـ، ويقول أنه عرفه لأن القاضي أحمد الجرافي من مواليد ١٣٠٧هـ،وبالمناسبة كان القاضي المرحوم / أحمد بن أحمد الجرافي والد الفقيد متزوجاً من ابنة القاضي محمد بن علي داعر وهو أخو جدي – لأمه – القاضي المرحوم عبدالله بن أحمد العرشي، وكانت زوجة القاضي أحمد شقيقة صديق طفولتي وصباي وشبابي وكهولتي الأستاذ/ أحمد محمد داعر – أطال الله عمره – وكيل الهيئة العامة للآثار سابقاً، والملحق الاقتصادي لبلادنا في الصين سابقاً، والتي توجد بيني وبينه صداقة أرواح قبل صداقة الأجسام وعندما كان يحس أحدنا أن الآخر لديه أي مشكلة رغم بعد المسافة بين اليمن والصين يقوم كل واحد منا بالاتصال بالآخر، ويحاول كل منا أن يسأل عن أسباب القلق الذي أحس به.

واستمررت أحضر مقيل ال الجرافي في كل شهر مرة تقريباً، وكان المرحوم القاضي محمد يهتم بي ويناقشني في عملي حيث كنت أعمل في الهيئة العامة للخدمة المدنية، وفي يوم من الأيام استدعاني الفقيد وذهبت إليه وأخبرني أن هناك محاولة لإصدار قوانين بقرارات من مجلس القيادة ولاسيما وأن مجلس الشورى قد تم حله وربما بعض نصوصه تخالف أحكام الشريعة الإسلامية ومواد الدستور. وتساءل ما هو الحل؟ فتناقشنا حتى تم التوصل إلى إنشاء هيئة لتقنين أحكام الشريعة الإسلامية فقال لي الفقيد القاضي محمد: سأقابل غداً الأخ القاضي علي السمان – وزير العدل في ذلك التاريخ – وأناقش معه الموضوع وأخبرك بما تم الاتفاق عليه،وفي اليوم التالي اتصل بي إلى مقر عملي في الهيئة العامة للخدمة المدنية، وقال لي: ستقابل بعد العصر عندي في المقيل وبعد العصر ذهبت إلى مقيلهم العامر في حي الخراز وقال:لقد اقنعت الوزير بالمقترح فاختار بعض زملائك وأعدوا القرارات القانونية الخاصة بإنشاء لجنة لتقنين أحكام الشريعة» واستدعيت زميلين لي هما القاضي/عباس مرغم الذي يعمل الآن عضواً في المحكمة العليا، والقاضي/محمد حسن قايد وهو يعمل الآن قاضياً في استئناف محافظة الحديدة. وفعلاً تم إعداد مشروع قرار مجلس القيادة بإنشاء الهيئة العامة لتقنين أحكام الشريعة الإسلامية، ومشروع ميزانية للهيئة ومشروع ترشيح أمين عام للجنة، واقترح القاضي المرحوم/محمد بأن أكون أميناً عاماً للهيئة، ثم جاء حل الهيئة العامة للخدمة المدنية من قبل اللجنة العليا للتصحيح وتكليفي من قبلها بالإشراف على الهيئة العامة للخدمة المدنية المنحلة والمساهمة في تأسيس الديوان العام لشئون الموظفين وتم بعد ذلك تعييني وكيلا للديوان العام لشئون الموظفين.

وتوطدت علاقتي بالفقيد القاضي محمد أكثر، وكان بالنسبة لي هو الأب والأستاذ، وكان يحوطني برعايته ونصائحه وتوجيهاته، وفي تلك الفترة تقرر سفري لحضور دورة تدريبية لمدة أربعة أشهر في ألمانيا الاتحادية تبنتها المنظمة العربية للعلوم الإدارية عام١٩٧٦م، وذهبت إلى وزارة المواصلات لتهنئة صديقي الأخ/ أحمد محمد الآنسي بتعيينه وزيراً للمواصلات، وإذا هو يفاجئني بالعرض علي بأن أكون وكيلا لوزارة المواصلات، وهو المنصب الذي كان يشغله قبل أن يعين وزيراً للمواصلات، فأخبرته أنني سوف أسافر إلى ألمانيا الاتحادية لحضور دورة تدريبية في الإدارة هناك، ولا يوجد لدي مانع من ذلك. ثم قمت بزيارة الفقيد القاضي محمد لأستأذنه بالسفر إلى ألمانيا وأودعه وإذا هو يسألني:ماذا ستعمل يا محمد بعد عودتك من ألمانيا؟ فأخبرته بما جرى بيني وبين الأخ/أحمد الآنسي ، وإذا هو يقول لي:«إن عملك يجب أن يكون في العدل ليس في المواصلات بحكم تخصصك وسوف أرشحك لمنصب نائب وزير العدل» وفوجئت بل أصبت بالدهشة. وقلت له: لا أتصور أن أكون في منصب يكون أعلى من المنصب الذي تشغلونه. وقال لي: يا محمد أنت ستفيد القضاء ووزارة العدل بخبرتك الإدارية والمالية وسينعكس ذلك إيجاباً على السلطة القضائية والمحاكم. فقلت له: لا أستطيع أن أخالف توجيهاتكم وأنا سوف أسافر وأخشى أن يتعارض الترشيحان، وقال: سوف نقنع وزير المواصلات بسحب ترشيحه» وفعلاً تم صياغة قرار ترشيحي نائباً لوزير العدل، وتم توقيعه من قبل وزير العدل، ورئيس مجلس الوزراء، وتم رفعه إلى مكتب الرئيس العشمي الذي اغتيل وصدر القرار لا يزال في مكتبه، وعندما تم انتخاب الرئيس علي عبدالله صالح رئيساً للجمهورية من مجلس الشعب التأسيسي سارع الأخ/أحمد الآنسي بمتابعة إجراءات ترشيحي، وتم رفع قرار تعييني وكيلا لوزارة المواصلات، وكان أول قرار جمهوري تم توقيعه من الرئيس علي عبدالله صالح هو قرار تعييني، واستمرت علاقتي بالفقيد القاضي/ محمد قوية يحوطها الحب والتقدير، وكان يرعاني دائما بأخلاقه العالية ونصائحه العلمية.

وعندما أصبت بأزمة قلبية، وتم إسعافي إلى تونس انزعج القاضي محمد، وكان يأتي لزيارتي، ويعرض عليّ مساعدته المادية، ويعمل على متابعة حالتي يحب وقلق ومودة، وعندما صدر القرار الجمهوري بتعيين هيئة الإفتاء الشرعية برئاسة الراحل الفقيد القاضي/محمد استدعاني وكلفني بإعداد مشروع قانون بإنشاء هيئة الإفتاء العامر في حي الخراز وقال:لقد اقنعت الوزير بالمقترح فاختار بعض زملائك وأعدوا القرارات القانونية الخاصة بإنشاء لجنة لتقنين أحكام الشريعة» واستدعيت زميلين لي هما القاضي/عباس مرغم الذي يعمل الآن عضواً في المحكمة العليا، والقاضي/محمد حسن قايد وهو يعمل الآن قاضياً في استئناف محافظة

في المحراب

إبراهيم الدرويش

اللـه أكبـر وانتهى
نصبي وزالت شقوتي
اللـه أكبـر وارتمى
قلبي بباب الرحمة
حلقت في أفق الخشوع
وقد شرقت بدمعتي
ونفضت عن قلبي جبا
لا من ذنوب الغفلة
وتركت أوصالي يجو
ل بها ارتعاد الخشية
وبدأت أبكي مثل طفل
خائف في الظلمة
فوجدت في المحراب أنسي
بعد طول الوحشة
وغدوت قلباً نابضاً
يهتز مثل الشعلة
إن الصلاة بها ثبا
ت القلب عند المحنة

«هُن لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن»

القرآن أرسى قواعد الحياة الزوجية السعيدة

● رسم القرآن الكريم طريق السعادة الزوجية والاستقرار الأسري، وأوضح لكل من الزوجين حقوقه وواجباته، ووضع الأساس المتين للحياة الزوجية الآمنة التي تثمر راحة نفسية وأزواجاً وزوجات متحابين متعاونين، وأبناء ينعمون بأجواء عائلية قائمة على الحب والتكاتف بما يتيح لهؤلاء الأبناء شق طريقهم نحو المستقبل بثقة واطمئنان .

وقد تنوعت وتعددت الآيات القرآنية الكريمة التي تقود كلاً من طرفي العلاقة الزوجية إلى الحياة الهانئة، ومن أبرز هذه التوجيهات القرآنية الشاملة ما جاء في سورة الروم حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ".

والمعنى: ومن آياته الدالة على رحمته بكم أنه سبحانه خلق لكم "من أنفسكم" أي: من جنسكم في البشرية والإنسانية أزواجاً لتسكنوا إليها ويميل بعضكم إلى بعض، فإن الجنس إلى الجنس أميل، والنوع مع النوع أكثر ائتلافا وانسجاما، وجعل سبحانه بينكم يا معشر الأزواج والزوجات (مودة ورحمة) أي محبة ورأفة لم تكن بينكم قبل ذلك، وإنما حدثت عن طريق الزواج الذي شرعه الله سبحانه بين الرجال والنساء والذي وصفه الله تعالى بهذا الوصف الدقيق في قوله عز وجل: "هُن لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن" .

ومعنى قوله سبحانه: "إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" أي في خلق الأزواج والزوجات وما جعل الله في قلب كل من الرجل والمرأة من ميل ورغبة في الآخر، وما غرس في قلوب كل من الرجال والنساء الذين تربطهم علاقة زواج من محبة ومودة وخوف كل طرف على الطرف الآخر واستعداد للتضحية بكل شيء من أجله . ففي ذلك وغيره من العلاقات الوثيقة بين الزوجين آيات وعلامات تهدي إلى الرشد وإلى الاعتبار لقوم يتفكرون في مظاهر قدرة الله تعالى ورحمته بخلقه .

دستور خالد

هذه الآية الكريمة يراها المفكر الإسلامي د .محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري السابق، دستور العلاقة الزوجية الخالد حيث حددت ثلاثة أمور تعد الأساس الراسخ للعلاقة الزوجية وهي السكن للنفس والمودة والرحمة . أما السكن النفسي فإنه يعني الاطمئنان ومنبه السكينة التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم تعبيراً عن الطمأنينة والأمان، ومن آيات الله البالغة أن يجد كل من الرجل والمرأة على السواء شريكاً له في مسيرة الحياة يفضي إليه بمكنون أسراره ويطمئن إليه ويجد راحته النفسية بجواره .

أما الأمر الثاني فهو المودة وتعني الحب الذي يربط بين القلوب ويؤلف بينها، فهو من أسمى العواطف التي تعد أيضا من آيات الله البينات في هذه العلاقة الزوجية الحميمة التي لها قدسيتها وحرمتها . وقد ظلت العادات والتقاليد تنكر هذه العاطفة النبيلة واعتبرت الحديث عنها في كثير من الأحيان من الأمور غير المرغوب فيها كما لو كانت عورة من العورات ينبغي إخفاؤها، مع أن لفظ الحب ومشتقاته ورد في القرآن الكريم عشرات المرات، وأن أسمى علاقة للإنسان بالله هي علاقة الحب .

والأمر الثالث الذي تشير إليه الآية الكريمة في الصلة بين الزوجين والذي من شأنه أن يصون هذه العلاقة من الشوائب هو الرحمة، التي تأتي على رأس منظومة القيم الأخلاقية الإسلامية، وهي أكثر هذه القيم وروداً في القرآن الكريم وأكثرها وصفاً لله تعالى الذي وسعت رحمته كل شيء، فهو الرحمن وهو الرحيم .

وفي إطار هذه المعاني النبيلة أراد الله سبحانه وتعالى أن يحيط العلاقة الزوجية بسياج منيع يصونها ويحميها من أي رياح قد تهب عليها، فالالتفات إلى هذه المعاني التي تحملها الآية الكريمة من شأنه أن يغلق الأبواب أمام العوامل التي يمكن أن تخلخل هذه العلاقة، ومن هنا كان ختام الآية الكريمة التي أشارت إلى هذه المعاني قوله تعالى "إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" .

وإذا كانت العلاقة الزوجية تتأسس على هذه القيم، فإن ذلك يعني أن لها مكاناً مفضلاً يكاد يصل إلى حد القداسة لأنها أساس قيام المجتمعات البشرية ومن هنا فإنه لا ينبغي الإساءة إلى هذه العلاقة التي جعلها القرآن الكريم "ميثاقاً غليظاً" وعهداً مشدداً .

نعمة الزواج

الداعية والعالم الكبير د .أحمد عمر هاشم يوضح لنا هداية أخرى من هدايات هذه الآية الشاملة الجامعة، فيقول: الزواج الطبيعي بين جنسين مختلفين أي بين رجل وامرأة عن رغبة بين الطرفين هو نعمة من نعم الله العديدة والمتنوعة التي أنعم بها على الإنسان ويجب على كل إنسان عاقل سوى أن يشكر خالقه كل الشكر على هذه النعمة . ومن هنا فإن العزوف عن الزواج من دون عذر شرعي مقبول هو كفران بهذه النعمة ومخالفة لسنة الله في خلقه، وهذا سلوك يجلب لصاحبه غضب الله وعقابه . وقد عبر القرآن الكريم عن العلاقة الزوجية بأنها نعمة من نعم الله، وان ما ينتج عنها من ذرية يعد أيضا من نعم الله، وهذا ما نراه واضحا في قول الحق سبحانه في سورة النحل: "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ" .

عصمة من الزلل

ويوجه د .هاشم حديثة إلى الشباب القادر على الزواج والعازف عنه، ويقول: دينكم دعا إلى الزواج وحث عليه ورغب فيه لأن في ذلك عصمة لكم من الزلل والخطيئة وفي الزواج حفظ لدينكم ولصحتكم ولأخلاقكم وفي الزواج سعادتكم في الدنيا والآخرة فما أجمل وأروع أن يرزق الله الإنسان بزوجة صالحة تكون قرة عينه وتكون سكنا لنفسه . تدبروا يا أبنائي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" .

واعلموا يا أبنائي أن الامتناع عن الزواج سلوك غير مش